

وادي الجزيرة العربية الخفي موئل فريد من نوعه في ظفار يعكس ماضي الجزيرة العربية

وارن أستون

بريزين، استراليا astonwarren@hotmail.com

الكلمات الدلالية: عمان، ظفار، خور خرفوت، مناخ محلي/موقعي، حفظ

مقدمة:

يقدم لنا واد منعزل على الساحل الجنوبي لمحافظة ظفار في سلطنة عمان صورة مصغرة فريدة لحقبة بعيدة في ماضي الجزيرة العربية. هذا هو الاثر الاخير الباقي في سلطنة عمان للغابات النفضية شبه الاستوائية التي كانت مزدهرة قديما في أجزاء من جزيرة العرب. يحمي خور خرفوت، الذي تغذيه الإفاضة الموسمية لجبال القمر التي تعزله، مجموعة كبيرة من الحيوانات والنباتات. إن بعض الأنواع الموجودة فيه، كالنمر العربي *Panthera pardus nimr* معرضة للانقراض، في حين أن أنواعا أخرى غير معروفة إلا من الروايات المتناقلة بسبب عدم وجود أي مسح شامل لها في أي مجال. إن الفرصة للقيام بذلك، وربما لتنفيذ استراتيجيات وقائية، تتلاشي بسرعة كما أن هذا الموقع الذي لم يفسد بعد يتعرض الآن لضغط بيئي شديد.

كان الجغرافي البريطاني أندرو كريستون بعد إبحاره على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية على ظهر سفينة المسح والدرس "بالينوريس" *Palinuris* في عام ١٨٢٤، غير سعيد بما شاهده وكتب أن هذا الساحل كان "جدارا من صخور عارية كثيفة وقاحلة بقدر ما يمكن يتصور" (FOSTER ١٨٤٤). كان من المعتقد أن هذه الكلمات دقيقة بما يكفي لوصف عام للساحل الشرقي للجزيرة العربية حتى فيما نشر مؤخرا (PHILLIPS ١٩٦٦). لم يترك الرحالة الآخرون، قبل كريستون وبعده لفترة طويلة، أي ذكر لاستثناءات لهذا التصور غير المشجع، بما في ذلك ساحل منطقة جبال القمر، وهو امتداد لمسافة ٢٠ كيلومتر من جبال الحجر الجيري شديدة الانحدار والتي ارتفعت منذ دهور عندما انفصلت الجزيرة العربية عن القارة الأفريقية. تشكل هذه الجبال الساحل الغربي الأقصى لسلطنة عمان.

ما زال ما كان مختبئا عن مرمى نظر السفن المارة في الماضي يفاجئ زائريه اليوم، لأن واديا يعج بالخضرة الخصيبة يمتد من وسط تلك الجبال ليبلغ البحر، ذلك هو ما يطلق عليه اسم خور خرفوت. يتضمن هذا الاسم اثنتين من سماته الرئيسية: تشير كلمة خور بالعربية إلى خليج صغير يتصل بالبحر، في حين أن كلمة خرفوت هي تعبير باللغة المهرية السابقة للغة العربية تعني أن "الوفرة" قد وصلت بعد الأمطار الموسمية السنوية.

بيئة فريدة

من العجيب أن العالم الخارجي كان بطيئا في تمييز أن مثل هذا الوضع الشاذ كان مصانا على ساحل الجزيرة العربية، إذ إن أهل المنطقة أنفسهم لم يكونوا يعلمون إلا القليل عنه حتى العقود الأخيرة. إن خور خرفوت، الذي لا تصله الطرق وتحيط به تضاريس منيعة، هو مكان غير مأهول في الذاكرة الحية. كان المحيط في الماضي ممتدا ربما لمسافة هنا مما خلق خليجا محميا. الآن، وكما هو الحال في خلجان أخرى في جنوب عمان، يمتد هنا جرف رملي عبر فم الخليج، ليقطعه عن البحر. أدى هذا في خرفوت إلى استبدال الخليج ببحيرة واسعة بمياه عذبة.

يمثل خور خرفوت نقطة النهاية لوادي رئيسي يمتد من صحراء الداخل، وهو وادي سيق (أي وادي النهر)، ووادي خرفوت الأقصر بكثير وطوله ١٢ كم (EL-BAZ ٢٠). إلا أن هذه الحقيقة تخفيها الزاوية المائلة التي يبلغ بها الواديين الساحل. إذ يجذب الشاطئ العالي مشاهدة البحيرة ومعظم النباتات والأشجار من السفن المارة. في الواقع، فإن مشهد خرفوت من البحر يبدو غير ملفت للنظر إلى حد ما.

لا تبلغ الأمطار الموسمية للمحيط الهندي بين شهري مايو وسبتمبر الأرض إلا في جنوب عمان فقط، جالبة أمطارا وضبابا مستمرين. يؤدي دفع الجبال للغيوم إلى الأعلى إلى أن تطلق الرطوبة بسرعة على طول شريط ضيق من الساحل تاركة الصحاري الداخلية على حالها من الجفاف. حتى السنوات الأخيرة كانت كميات كبيرة من الماء تصل لخرفوت من خلال وادي سيق المتعرج، وهو ممر تصريف المياه الرئيسي لسلسلة جبال القمر، هابطة عبر ٢٨ كم من الهضبة الداخلية. يتراكم الماء الذي يصل إلى المدخل في البحيرة، كما يغذي أيضا ينبوعين دائمين كبيرين.

الشكل ١: بقعة نادرة من اللون الأخضر على ساحل الجزيرة العربية. كان خور خرفوت فيما مضى خليجا مفتوحا على المحيط الهندي، ثم تشكلت في القرون الأخيرة ضفة رملية عبر الخليج. يظهر ذلك بوضوح في هذا المنظر المائل غربا من الجبال المجاورة.



الشكل ٢: تقع القاعدة الخضراء الداكنة لخرفوت اليوم تحت مستوى سطح البحر. يظهر هذا المشهد المائل باتجاه شمالي شرقي من التلال المحيطة ملامح تدرجية للمدخل الأصلي للخليج إلى البحر، والذي أصبح اليوم بحيرة مياه عذبة على مدار العام، ونظاما بيئيا فريدا من نوعه ما زال محتفظا بعذريته حتى الآن.



الشكل ٣: يمتد وادي سيق لمسافة ٢٠ ميلا من جبال القمر قبل وصوله للساحل عند خور خرفوت. تدل القاعدة العميقة المصقولة للوادي على مياه الفيضان السنوي التي تمر عبر خرفوت، والمختبئة بالكاد عن النظر من اليمين.

الشكل ٤: خرفوت هو أحد واديين في عمان يستقبلان في كل عام ثلاثة أشهر من الهطول المستمر لأمطار آتية من الرياح الموسمية للمحيط الهندي. تأتي السحب والضباب بهذا الشكل لتصل إلى خرفوت حيث تجبرها التضاريس على الفور للصعود للأعلى ثم إسقاط مياهها.

